روح أسيرة

ـ "لا تقلقي يا أمي، سأكون بخير.. فقط دعواتك لي فهي المصابيح التي تنير إليّ الطريق وتيسر لي كل صعب".

بهذه العبارة اختتم حسن حديثه الوداعي مع أمه والتي لم تكف عن ذرف الدموع والدعاء له.

كانت هذه هي المرة الأولى التي يغادر فيها حسن قريته ليكمل تعليمه الجامعي بالقاهرة.

حسن شاب مكافح، جد واجتهد حتى حصل على مجموع يؤهله لارتياد كلية طب الأسنان.. ونظرًا للحالة المادية الصعبة فسيكون مضطرًا للعمل للإنفاق على دراسته.

ركب القطار المتجه للقاهرة؛ حيث ينتظره هناك قريب له ليوفر فرصة عمل ويبحث له عن سكن مؤقت حتى يجد له سكنًا مناسبًا.

استقبله قريبه بحفاوة خاصة، عندما لمح تلك الزيارة التي يحملها حسن بيده، وتلك الروائح النفاذة التي تفوح منها، والتي تنبئ عن وليمة فاخرة.

وهم بطريقهم داخل السيارة تحدث قريبه قائلًا: "أنت محظوظ، فلقد وجدت لك سكنًا وعملًا بنفس الوقت".

حسن مبتسمًا وشاكرًا له صنيعه ومعروفه: «أرجو أن أرد جميلك ذات يوم".

فرد قريبه بحماس: "لقد تحدثت عنك مع الحاج رشدي، وهو مقاول كبير ويمتلك الكثير من البنايات، ولقد وافق أن تقيم بغرفة الحارس بالدور الأخير، والبناية بها مصعد وهو غير معطل، والبناية لم يسكنها أحد إلى الآن.. وسيعطيك راتبًا جيدًا نظير أن تهتم بالبناية، وتقوم بعرض الشقق على من يريد الشراء"، واستطرد قائلًا: "عمل سهل وبسيط ولن يشغلك عن دراستك".

ـ "لا أدري كيف أشكرك.. سيظل جميلك دين برقبتي».

توقف التاكسي أمام بنايه مكتملة البناء، ولكنها ليست مكتملة التشطيبات، أخرج قريبه بعض المفاتيح وأعطاها لحسن قائلًا: "هذه مفاتيح المصعد والشقق وغرفتك".

كانت سلسلة المفاتيح ثقيلة للغاية عندما تفحصها حسن وجد أنها تحتوي على (١٣) مفتاحًا.

دلفا إلى الداخل وأثناء صعود المصعد إلى الطابق (١٣)؛ حيث غرفة حسن بسطح البناية، انتابت حسن قشعريرة باردة بالطابق السادس، وشعر بدوار خفيف، وعندما لاحظ قريبه ذلك قال له: "يبدو أنك مرهق من أثر السفر".

أجابه حسن مبتسمًا: "هو كذلك"!

وصل الاثنان إلى حيث غرفة الحارس.. كانت غرفة بسيطة، بها بعض الأثاث المستعمل ومطبخ صغير به بوتاجاز، وبعض أغراض الطبخ، وحمام منفصل خارج الغرفة.

أعد الطعام له ولقريبه وتناولاه وشربا الشاي، ليستأذن قريبه وهو يقول له: "أتركك تستريح، وأذهب أنا لأعمالي".

قام حسن فتوضأ وصلى ما فاته من فروض الصلاة، وأخذ يقرأ بمصحفه حتى غلبه النعاس.

أخذ يفرك عينيه بذهول، هل ما يراه أمامه حقيقة أم خيال!

فتاة بالعاشرة من عمرها، بيضاء ذات عيون سوداء وشعر أسود مسترسل على كتفها، وترتدي جلبابًا طويلًا وتمسك بيدها وردة كبيرة، كانت تبتسم لحسن ابتسامة ملائكية، وهي تقول له بصوت منخفض: "لقد تأخرت كثيرًا يا حسن، لماذا تأخرت هكذا؟ أنا أنتظرك منذ مدة طويلة.. أنا هنا وحيدة وأنتظرك".

حسن وهو يلتفت يمينًا ويسارًا: "هل تحدثيني أنا"؟

الفتاة: "وهل يوجد غيرك هنا"؟

حسن: "ولكني لا أعرفك ولا أعرف من تكونين».

الفتاة: "ولكنني أعرفك وأعرف من تكون وأنتظرك وأنت تأخرت".

أعقبت كلماتها وهي تتقدم نحوه ببطء، وكلما اقتربت شعر ببرودة تجتاح أوصاله وقشعريرة تسري بكل جسده.

قطعت أوراق الوردة بين يديها، وأخذت بعض الأوراق ووضعتها بجيب قميصه وودعته وهي تغادر قائلة: "لا تتركني وحدي مرة أخرى.. فأنا خائفة جدًّا".

حسن بصوت لا يكاد يغادر حنجرته، ويشعر بخدر يستحوذ على كامل جسده: "من أنتِ؟ من أنتِ؟ تعالي هنا"!

انتفض حسن وهو يستعيذ بالله من الشيطان الرجيم، وينظر بأنحاء الغرفة التي تحولت وكأنها ثلاجة صغيرة تحيط البرودة بجدرانها من كل جانب.. نهض من مكانه يرتعد وهو يلهث بشدة، وما زالت البرودة والقشعريرة تسري بجسده رغم عرقة الغزير الذي يتسلل من مسام جسده وجبينه.

ذهب إلى باب الغرفة ليتأكد من إغلاقه من الداخل كما هو.. هدأت أنفاسه قليلًا عندما وجد الباب ما زال مغلقًا كما هو.

ـ "يا له من كابوس"! هكذا حدث نفسه.

فتح الباب ليذهب إلى الحمام لأخذ (دوش)، نزع قميصه وأراد التأكد من عدم وجود أي شيء مهم بملابسه قبل وضعهم بالغسيل، فتش جيوبه، وأثناء تفتيشه بجيوبه لامست أصابعه شيئًا ما بجيب قميصه، عندما أخرجه كاد يسقط مغشيًا عليه، فلم تكن سوى أوراق زهرة ممزقة ذات رائحة نفاذة.

بسرعه استعادت ذاكرته تفاصيل ما ظنه حلمًا أو كابوسًا، تذكر الطفلة وحديثها معه ووضعها لأوراق الزهرة قبل مغادرتها.

كان هذا بحد ذاته كفيلًا لإصابته بالرعب والفزع، حتى قدميه لم تعودا قادرتين على حمل جسده المرتعش، وهو يتذكر نظرة الفتاة الخائفة وتوسلها له.

كيف يكون هذا؟ وهل هو كان يحلم أم أن هذا حدث بالفعل؟

لحظات من الصمت والوجوم مرت عليه، وقشعريرة باردة تملكت جسده مع دقات قلبه التي من شدة تسارعها بعنف ظن أنها ستتوقف

فجأة.. لحظات قبل أن يقرر النزول لشراء بعض المستلزمات الناقصة من الخارج.

عندما استدعى المصعد انقطع التيار الكهربائي قبل دخوله المصعد، فنزل مسرعًا على سلم البناية، وعند عودته كانت الكهرباء قد عادت، رغم أنه لم ينسَ شراء الشمع تحسبًا لانقطاع الكهرباء بأي وقت.

استدعى المصعد وضغط على الدور الأخير، وأثناء صعوده شعر بالبرودة تنتاب كل جسده، ورعشة بأوصاله لا يعلم مصدرها، تتملك كل حواسه، وعند وصول المصعد للدور السادس شعر بالمصعد يرتج ويهتز بعنف.. حتى شعر وكأنه سينهار به إلى الأسفل.

لحظات من الارتجاج أعقبها انقطاع التيار الكهربائي، وتوقف المصعد نهائيًا.. رغم برودة المصعد إلا أنه أحس بعرقه يكاد يغرقه من رأسه وحتى أخمص قدميه.

ثوانٍ مرت كالدهر عليه من ثم فتحت أبواب المصعد.. تردد مشوبًا بالقلق مع أفكار متلاحقة بعقله وتفكيره: هل يغادر المصعد ويكمل ما تبقى من أدوار على قدميه أم ينتظر عودة الكهرباء ويشعل شمعة تنير له ذلك الظلام الدامس، الذي يغلف المكان!

استجمع حسن كل قواه وشجاعته وهو يتمتم بالمعوذتين وآية الكرسي، وغادر المصعد إلى الردهة.

رغم الظلام الدامس الذي يلف المكان إلا أنه وجد بعض الضوء المنبعث من آخر شقة بالرواق، صوت ارتطام الأبواب بالشقة من الداخل، مع ذلك الظلام الحالك وعرقه الذي يكاد يغرقه، أصابه بشلل مؤقت مع عدم القدرة على الحركة أو اتخاذ أي قرار.

صمت تام لم يقطعه سوى صوت يأتي من آخر الرواق يبدو خافتًا، ولكنه مسموع بنفس الرتم: حسن حسن حسن حسن.. تعالَ! أنا هنا.. أنا هنا.. لا تتركني هنا وحدي.. أنا خائفة.

كالمأسور وجد قدميه تقودانه إلى حيث آخر الرواق، ويدلف إلى الشقة التي ينبعث منها الضوء، ويا لا هول ما رأى! نفس الفتاة تجلس بزاوية الردهة متقوقعة على نفسها، تدفن رأسها بين يديها وصدرها، وهي تبكي بصوت خائف، وتئن بألم أنينًا يشبه مواء القطط.

وتردد نفس العبارة: "لا تتركني هنا وحدي! لا تتركني أنا خائفة! أرجوك لا تتركني"!

ـ "من أنتِ؟ وماذا تفعلين هنا؟ وأين أبويكِ؟ ولماذا هذا البكاء"؟

كانت هذه كلماته للفتاة، ولكنها لم ترد بل ظلت تردد نفس العبارة، وكأنها لا تعرف غيرها.

استجمع كل شجاعته واقترب منها، ومد يده يحاول أن يمسك يدها.. وما إن فعل ذلك حتى انتابته رجفة شديدة، وسمع ضجيجًا يملأ المكان، والأضواء تعود وتنقطع، والبرد بل الصقيع يغلف كل جسده مع ارتطام الأبواب والشبابيك بصوت مدوٍ وكأن الجحيم قد ألقى بكل حممه.

أصوات بكاء وضحكات متقطعة قبل أن يتهاوى ساقطًا على الأرض مغشيًا عليه.. لم يدرِ حسن كم مر من الوقت قبل أن يفيق.

التفت حوله يدور بعينيه يستكشف المكان كانت كل الأشياء التي اشتراها معه كما هي، وهو كان أمام المصعد بالدور الأرضي.

كيف هذا وهو يتذكر جيدًا أنه صعد إلى الطابق السادس، وأن الكهرباء قد غابت و... و... و... و... يا الله! ماذا يحدث! هل هذا معقول! الفتاة نفسها بالغرفة كانت بتلك الشقة آخر الرواق بالدور السادس.

صعد حسن السلم خوفًا من انقطاع الكهرباء أو تعطل المصعد، كما حدث أو كما خيل له فهو لا يدري حقًّا ما يحدث معه.

دلف إلى غرفته وألقى بنفسه على الأرض يفكر فيما يحدث معه.

تُرَى هل هذا حقيقي أم خيال! أحقًّا ما يظنه ويجول بخاطرة أم أنه مجرد خداع بصري! هل هي شبح! وهل هناك وجود للأشباح!

تذكر حديث جدته عن الأشباح والمقابر القديمة، وأن هناك عالمًا سفليًّا تسكنه الأرواح، نفض كل هذا عن عقله مستعيذًا بالله، مرددًا المعوذتين وآية الكرسي، ومن ثم وبحركة لا إرادية أغلق الباب من الداخل جيدًا، وأدار الراديو على إذاعة القرآن الكريم.

حاول النوم جاهدًا، ولكن كل حواسه تعانده، لا يدري أهو من الخوف أم الترقب! وهل سيتكرر هذا معه مرة ثانية أم لا!

حسم حسن أمره واتخذ قرارًا لا رجعة فيه، سيترك هذه البناية مهما كلفه الأمر، لن يستمر بها مهما حدث، هو ليس مستغنيًا عن عمره أو عقله. هكذا حدثته نفسه.

لا يدري أهو نائم أم مستيقظ! ولكن ما يشعر به حقًّا هو برودة الغرفة التي تتحول إلى ثلاجة وأوصاله التي ترتعد مع ذلك الصوت القادم من ركن الغرفة خلفه.

(حسن حسن حسن حسن) لا تتركني وحدي أنا خائفة.

ـ "أرجوك لا تتركني هنا أنا خائفة".

(حسن بصوت مخنوق: "من أنتِ؟ أخبريني من تكونين»؟

مدت له يدها تطالبه أن ينهض ويسير خلفها، كالضوء عندما يتسلل من النافذة خرجت من الباب.. فتح حسن الغرفة وسار خلفها كالمأسور أو المنوم، شيء ما قد سلبه إرادته فأصبح لا يعي ما حوله أو يدركه، حتى إنه لا يعلم إن كان داخل حلم أو كابوس أو هو بالواقع.

ظل يتبع الفتاة وهي تنزل درجات السلم، حتى توقفت عند الدور السادس.. دخلت إلى نفس الشقة آخر الرواق، وهو ما زال خلفها يتملكه رعب أقاصيص جدته وفزع وخوف يحمله معه من طفولته بالقرية.

دخلت إلى نفس الشقة آخر الرواق، وكأن روحها قد أسرت روحه.. وعندما أصبحا داخل الغرفة سمع صوت الباب الخارجي وهو يغلق خلفه بقوة وعنف.

ذهبت الفتاة إلى ركن الغرفة وأخذت تبكي، واضعة رأسها بين يديها وصدرها، وكل جسدها يرتجف ويرتعد وهي تصدر أنينًا خافتًا يهتز له جسدها الصغير.

حسن: "هل تريدين إخباري بشيء؟ أنا هنا ولن أتركك.. أعدك بأنني سأساعدك.. فقط أخبريني حتى أستطيع مساعدتك.. أنا هنا من أجلك".

نظرت إليه الفتاه نظرة رجاء ومدت له يدها، وهي باسطة كفها نحوه.

بالبداية لم يفهم ماذا تريد منه، ولكن بعد ذلك أدرك أنها تريده، وضع يده بيدها وقد كان.. مد حسن يده نحوها، وعندما تلاقت أصابعهم شعر ببرودة تتسلل إلى أصابعه وهي تضغط على راحة يده بقوة.

وفجاه وبدون سابق إنذار.. بدأ ظلام دامس يزحف ويلف المكان، وصوت ارتطام الشبابيك بالجدران وصوت أنفاس متلاحقة، وأضواء خافتة قبل أن يجد نفسه يقف متفرجًا على الفتاة، ومعها رجل تجاوز الأربعين من عمره، وهي تسأله ببراءة: "أين تلك الأشياء التي تريدني أن آخذها إلى أبي"؟

رأى الرجل يضحك ضحكة صفراء ماكرة، وهو يقول بصوت أجش: "تعالي أولًا سنلعب لعبة صغيرة أنا وأنتِ».

الفتاة ببراءة وفضول: "أي لعبة يا عمي التي سنلعبها"؟

الرجل وهو يحاول جذبها نحوه: "هل تعلمين! أنتِ جميلة كاسمك، وفاتنة جدًّا، ستصبحين كنجمات السينما عندما تكبرين".

البنت وهي تحاول الإفلات من بين قبضة يديه: "ماذا تريد يا عمي؟ أرجوك اتركني أذهب لأبي وأمي! أرجوك"!

الرجل وقد ازداد شراسة ورغبة: "وهل أتركك بعد أن أصبحتِ بين يدي! لا تقاومي وإلا قتلتك وألقيت بجسدك من الشباك".

الفتاة وهي تحاول الهروب والصراخ: "اتركني.. اتركني! سأخبر أبي عنك! اتركني».

حسن محاولًا التدخل وإنقاذ الفتاة، دون جدوى.. فهم لا يرونه ولا يسمعونه، فقط هو من يرى وكأنه يرى فيلم سينما أمامه مباشرة.

الفتاة وقد ازداد صراخها والرجل ازدادت رغبته، وبكل عنف وضع يده على فمها محاولًا كتمان صوتها خشية افتضاح أمره.

دقائق مرت وهو يضع يده على فمها وأنفها، وهي تحاول التخلص منه دون جدوى.

حسن يحاول التدخل والصراخ، ولكن بلا أي طائل.

دقائق مرت كالدهر قبل أن يرى الفتاة وقد أصبحت صامتة دون حراك ولا أنفاس تتردد بصدرها، والرجل شبه مصدوم، وكأنه لم يتوقع أن تفارق الحياة.

تركها الرجل تتهاوى بين يديه، وهو بحالة من الذهول والخوف معًا، كان يدور حول نفسه وينظر بعينين زائغتين بكل الاتجاهات، ومن ثم وقف فجأة لينظر من النافذة ليتأكد أن أحدًا لم يره من حراس المنطقة.

حمل الفتاة بين يديه ونزل درجات البناية وهو يراقب السلم من فوق، وصل إلى غرفة المصعد، والذي لم يكن قد تم تركيبه بعد، ووضع الفتاة بملابسها داخل غرفة المصعد، وأعد بعض الأسمنت وصبه على جسدها بالغرفة، حتى أصبحت مغطاة بالأسمنت بالكامل، ولا يظهر منها شيء، قام بتسوية الأسمنت حتى لا يثير الشك أو الريبة.

كل هذا وحسن يراقب بذهول وهو يصرخ تارة ويحاول منعه تارة أخرى دون جدوى، وكأنه تحول إلى هواء شفاف، وفجاه أفلتت الفتاه يدها من يده ليتهاوى أرضًا ويرتطم بالأرض بعنف وقوة.

لا يدري حسن كم من الوقت مر قبل أن يفيق ويجد نفسه أمام غرفة المصعد بالدور الأرضي.

عندما أفاق من صدمته استجمع قواه وخرج من البناية يسأل عن أقدم حارس بالمنطقة، وبعد السؤال توصل الى عم أحمد القادم من الريف، والذي يعتبر من أقدم من أتوا إلى هذه المنطقة قبل العمران.

ذهب حسن إلى عم أحمد، وبعد التحية وبعد أن عرفه بنفسه، قال له إنه يريد أن يستفسر منه عن بعض الأمور لو سمح بذلك.

عم أحمد بلهجة ودودة: "تفضل يا بني».

حسن وهو يصف ملامح الفتاة وشكلها وعمرها وملابسها لعم أحمد، الذي أصابه الذهول والدهشة بنفس الوقت: "كيف هذا يا ولدي وكأنك تصف لي (جميلة)، تلك الفتاه الملائكية".

حسن بفضول: "ومن هي جميلة يا عم أحمد"؟

عم أحمد بعد أن أخذ نفسًا عميقًا: "كانت جميلة هي الابنة الصغرى للحاج عليّ، والذي حضر ومعه زوجته من الأرياف ليعمل هنا حارسًا، ولم تمضِ شهور على عمله قبل أن تختفي ابنته فجأة ولم تترك أي أثر خلفها.. بحثنا عنها دون جدوى، ولكننا لم نجدها حتى الشرطة بحثت دون جدوى، وتردد الكثير من الكلام أن "قل أعوذ برب الفلق" هم من أخذوها إلى العوالم السفلية.. أمها لم تتحمل فراقها وأصابها المرض، كذلك أخوها وأصروا على الرحيل، وحتى الآن ما زال اختفاؤها لغزًا لم يتم حله".

عم أحمد بفضول وريبة وقد ظهرت على ملامحه بوادر الشك: "ولكن لماذا تسأل؟ وكيف علمت عنها"؟

حسن: "أرجوك تحملني قليلًا يا عمي، وأخبرني من يكون ذلك الشاب الذي سأصفه لك الآن"؟

وصف حسن شكل الرجل وملامحه وملابسه لعم أحمد الذي فغر فاه من الدهشة وهو يقول لحسن: "بالله عليك أخبرني من تكون يا ولدي؟ وما هي قصتك؟ وكيف علمت عن ضاحي»؟

حسن: "ومن ضاحي"؟

عم أحمد وما زالت الدهشة لم تفارق ملامح وجهه: «ضاحي هو ذلك الرجل من قرية أهل جميلة، والذي جاء إلى هنا عن طريق والد جميلة ليعمل، وبعد اختفاء جميلة أصابته حالة نفسية سيئة، غادر على إثرها المكان، ولم نعد نسمع عنه شيئًا منذ ذلك الوقت".

حسن وقد بدأ تجميع كل الخيوط بين يديه: "وهل قدمتم بلاغًا بواقعة الاختفاء"؟

- "نعم يا ولدي، كما أخبرتك أن الشرطة بحثت ولم تجد شيئًا فقيدت المحضر اختفاء حتى الآن".
- "أريدك أن تأتي معي إلى مركز الشرطة يا عم أحمد، وهناك ستعرف كل شيء بالتفصيل".

وأمام ضابط المباحث، روى حسن كل ما مر به من الأحداث للمحقق، والذي أصابته الدهشة مما سمعه، واستخرج أمر ضبط وإحضار بحق ضاحي، وذهب بنفسه على رأس قوة إلى مسقط رأسه، عندما وصلت قوة الضبط إلى بيته طرقا الباب وسألا عنه، وإن كان متواجدًا من عدمه.

ردت أمه، وهي امرأة طاعنة بالعمر بحزن بالغ والألم على وجهها: "إنه بغرفته لا يغادرها أبدًا".

استطردت قائلة: "منذ عودته من القاهرة من عمله حارسًا، وهو يهذي ويصرخ وتنتابه حالات هياج يصعب عليه السيطرة وقتها، وكأنه قد مسه جن والعياذ بالله". تساقطت دموعها وهي تقول بحزن بالغ وأسى: "قد ذهبنا به إلى كل الشيوخ بلا نتيجة فهم يقولون إن هناك – اللهم احفظنا– يسكنون جسده، وذلك عندما ذهب للعمل بمصر.. ومنهم من يقول إن النداهة قد أخذت عقله".

توجه الضابط مع القوة إلى غرفة ضاحي يرافقهم حسن، وفتحا الباب، كان ضاحي يجلس بركن الغرفة متكورًا على نفسه، ويضع رأسه بين صدره ويديه، وكانت لحيته كثيفة وشعره أشعث، وكأنه لم يشذبه منذ سنوات، وعندما رأى الضابط والقوة أخذ يصرخ ويردد قائلًا: "أنقذوني.. لا تتركوني هنا". وانتابته نوبة هيجان وضحك هيستيري مع بكاء وصراخ هيستيري.

أخذه الضابط إلى موقع البناية، وكان قد طلب معدات لحفر غرفة المصعد، وكلما اقتربت السيارة من البناية كان ضاحي يزداد رعبًا وخوفًا، ويزداد صراخه وهياجه حتى وصلا إلى موقع البناية وتوجها لغرفة المصعد.

قام فريق الصيانة الخاص بالمصاعد برفع المصعد للدور الأخير، وإيقافه حتى لا يستدعيه أحد.

وبالمعدات الثقيلة قام فريق آخر بتكسير الأسمنت ورفعه من الغرفة، ساعات مرت والجميع بحالة ترقب وانتظار حتى بدأت تظهر ملابس جميلة، وبعد دقائق مرت على الجميع كالدهر ظهر جسد الفتاة.

وقد ظهرت الدهشة على الجميع عندما بدأت ملامح الفتاة تظهر، فهي كانت كما هي بملامحها لم يتغير منها شيء، وهذا ما أكده عم أحمد الحارس الذي أخذ يبكي، وقد سالت دموعه على خديه وهو يرمق ضاحي بنظرة احتقار.

وما إن رأى ضاحي ملامح جميلة حتى انتابته نوبة هيستيرية، وأخذ يركض نحو السلالم صاعدًا إلى الأعلى، وهو يصرخ: "أنقذوني.. أنقذوني».

لوهلة ظن الجميع أنه يريد الهروب فلاحقته قوات الشرطة إلى أعلى، وعندما وصل إلى الطابق السادس، وهو نفس الطابق الذي بدأت به تلك الأحداث، توجه إلى غرفة المصعد وفتح بابه، والذي كان بلا مصعد، وبمجرد دخوله تهاوى جسده، ليسقط من هذا الارتفاع ويهوي إلى قاع غرفة المصعد بنفس المكان الذي تم إخراج جميلة منه.

وما إن ارتطم بالكتلة الأسمنتية حتى انفجر الدم من رأسه وجميع أنحاء جسده، ونظرة الرعب والهلع لم تفارق عينيه.

قام الضابط باستدعاء الإسعاف لتشريح الجثتين.. كذلك تم استدعاء أهل جميلة لدفنها بمقابر العائلة.

غادر الجميع بعد طلب الضابط من حسن الحضور غدًا لإتمام المحضر لإغلاق القضية، بعد أن شكره لجهوده بحل هذا اللغز الذي ظل عصيًّا عن الحل لفترة طويلة.

صعد حسن إلى غرفته ليستريح من عناء هذا اليوم.. وأحداث اليوم لا تفارق ذهنه.

وكم كان يشعر بالحزن والأسى على ما حدث لجميلة، تلك الفتاه الملائكية الرقيقة والتي ذهبت ضحية لنزوات حيوان بشري لم يرأف بطفولتها البريئة ولا جسدها النحيف.

تنهد وهو يحدث نفسه قائلًا: ترى كم جميلة تفقد حياتها كل يوم! فإن لم يكن بالموت الجسدي فبالموت المعنوي.

كم ضحية ما زالت تئن في صمت وبخوف وخجل!

كم جميلة ذهبت ضحية مجتمع يجلد الضحية ويتحاشى مواجهة المجرم!

ارتسمت على شفتيه ابتسامة خفيفة، فعلى قدر سعادته لأنه ساعدها في التحرر من الأسر وقد عادت إلى أهلها أخيرًا ليجتمع شملها بمن تحب، وليأخذ المجرم عقابه خزي بالدنيا ونار الآخرة؛ حيث الحكم العدل هو الله.

استرخى محاولًا النوم ليستعيد بعض نشاطه، ولكن تلك البرودة وذلك الضباب من حوله جعله ينتفض من غفوته ليرى جميلة مقبلة نحوه بابتسامة ملائكية، هذه المرة لم تكن خائفة.. لم تكن تبكي أو تئن.

مدت يدها له بالوردة وهي تشكره، قائلة له: "شكرًا لأنك لم تتركني وحدي.. شكرًا يا حسن".

لوحت له بيدها مبتعدة وما زالت تلك الابتسامة لم تفارق شفتيها.

صباح اليوم التالي عندما استيقظ حسن كان يشعر بالنشاط والحيوية، فتح النافذة ليستنشق عبير الهواء، وعندما استدار للخلف لمح تلك الوردة على الوسادة، وكأنها قد قطفت الآن، فقد كان عبيرها وشذاها يملآن الغرفة كلها.